من السلبيّة. أما الأخطاء التي تحصل أحيانًا فهي نتاجُ أفراد ولا تمثّل الحركة ككلّ. ويبقى الهدف الرئيس للمقاومة مشرّفًا، وهو في مصلحة الشعب العراقيّ.

يمكن استشفافُ فهمٍ مماثلٍ من المقابلات الأخرى مع بقيّة النساء: الجوانب الإيجابيّة للحركة تتفوّق بكثير على الأخطاء الاستثنائيّة أو الحسابات الخاطئة. وتشمل اللائحة الآتية بعضَ المنافع المسبغة على المقاومة الوطنيّة العراقيّة المسلّحة التي وردتْ في المقابلات المختلفة: ١ ـ المقاومة الوطنيّة العراقيّة المسلحة هي للشعب العراقيّ ومنه. ٢ ـ أنها تحمي الشعب العراقيّ. ٣ ـ أنها تهتمّ بشكل خاصّ، ماليًا وأمنيًا، بأرامل رجال المقاومة. ٤ ـ أنها تعامل المسلّحاتِ في مجموعاتها على قدم المساواة مع الرجال من حيث الأدوار التي يكلّفن بها. ٥ ـ يتمتّع هدفها، المتمثّل في تحرير الشعب العراقيّ، بأولويّة على الخلافات السياسيّة والدينيّة والمجتمعيّة.

خلاصة

بدأتُ هذا البحث بطرح السؤال الآتي: إلى أيّ مدًى يمكن اعتبارُ النسويّة الليبراليّة أداةً مفيدةً في تقييم المقاومة الوطنيّة؟ ليست الإجابةُ التي سأقدّمها جازمةً، بل هي تراكمُ أفكارٍ مختلفةٍ تقوم على البحث الذي أجريناه. ولا يهدف هذا البحثُ إلى التشكيك في مدرسة الفكر النسويّ، بل يسعى فقط إلى توسيع آفاق هذه المدرسة من خلال تمثيل حالة نساء العراق.

تَعتبر النسويّةُ الليبراليّةُ انخراطَ النساءِ في حركة المقاومة الوطنيّة فعلاً استغلاليًا وبطركيًا ومستضعفًا كما رأينا. والأهمّ أنّ النسويّات الغربيّات يرين أنّ على النساء العراقيّات الانخراط في منظماتٍ غير حكوميّة أجنبيّة تعمل على قضايا النساء وحقوقهنّ، التي قد يُعتبَر بعضُها ثانويًا في أهميّته في ظلّ ظروفهنّ الاستثنائيّة. وبهذا المعنى، تُخفق النسويّةُ الليبراليّةُ في الاعتراف بأنّه، في حالة نساء العراق اللواتي يعشن تحت احتلال قوًى خارجيّة وداخليّة، يُعتبَر الانخراطُ في مقاومة وطنيّة مسلحة أمرًا ضروريًا؛ وبدلاً من أن تكون المقاومةُ استغلاليّة، فهي تفسح للنساء فضاءً سياسيًا يعبّرن فيه عن حاجاتهنّ والتغييرات التي يطالبن بها

إنّ النظريّة القائلة بأنّ الوطنيّة والانخراط في مشروع وطنيّ أمران سلبيّان ويساهمان في تعزيز البطركيّة نظريّةٌ غربيّةُ الأساس لا تأخذ في الاعتبار ظروفَ النساء في العراق مثلاً. فهؤلاء النساء عشن ويعشن في ظروف استثنائيّة تضعهنّ في ظروفٍ فريدةٍ لا تكون فيها الوطنيّةُ مجردَ شعور تجاه وطن أو أمّة، بل تغدو أسلوبَ حياة. فالأمّ العَرَاقيّة، مثلاً، تدرك أنّ لحرّية وطنها من الأولويّة ما يساوي أمنَ أولادها. وبعض النساءالعراقيّات ينضمّ إلى المقاومة انطلاقًا من شعورهنّ بالانتماء إلى وطنهنّ، ومن حاجة ذاتيّة إلى التحرّر من احتلال داخليّ بقدر ما هو خارجيّ.

لندن

راوي هذه الرواية، أو أحد الرواة، يقول، في لحظة من اللحظات : «في داخل كلّ قارئ شهريارُ غافٍ.» ألا يمكن القول كذلك: «في داخل كلّ كاتب شهرزادُ غافية»؟ فماذا لو كانت شهرزاد وشهريار، في الخيط الرفيع من الدّم والقسوة والفنّ والخيال الذي يجمع بينهما، هما النّموذج والنّبض البعيد الحاضر في كلّ رواية وكلّ سرد؟ وماذا لو كانت «ألف ليلة وليلة» هي نغمة القرار في كلّ صوت من أصوات الرواة وهم ينغّمون عالمهم الروائيّ؟ وماذا لو كان ما كُتب من الرّوايات بعدد الحصى والنّجوم ليس سوى تنويع على صوت شهرزاد الهامس بحكاياته في ليل بغداد؟

هذه الرّواية، بتشابك رواتها وتحابك شخصياتها، آتية إلينا من دائرة السّحر التي خلقتها وتخلقها شهرزاد حتّى لا ينقطع السّرد ولا الكلام ولا الفنّ.

عبد الكبير الشّرقاوي